

المأمون المنسيون

الإسلام في الاتحاد السوفياتي

الكسندر بنفستون
للأستاذين : وشانتال لوميرسيه

ترجمة وعرض وتحليل الدكتور

حسين على الرفاعي

الأستاذ المساعد بكلية العلوم الاجتماعية

صدر هذا الكتاب في النصف الأول من عام ١٩٨١م، عن دار ماسيرو MASPERO للنشر والتوزيع في العاصمة الفرنسية باريس.

ومؤلفا الكتاب لهما باع طويل في الدراسات المتعلقة بالاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفياتي وقد ألفا معا الكتب التالية:

1 - LES MOUVEMENTS NATIONAUX CHEZ LES MUSUIMANS DE RUSSIE, PARIS - LA. HAYE. 1960.

١ - الحركات القومية لمسلمي روسيا - باريس ١٩٦٠

2 - THE EVOLUTION OF THE MUSLIM NATIONALITIES OF THE USSR. AND THEIR LINGUISTIC PROBLEMS, LONDRES, 1961.

٢ - تطور القوميات الاسلامية في الاتحاد السوفياتي، ومشكلاتهم اللغوية، لندن ١٩٦١.

3 - LA PRESSE ET LE MOUVEMENT NATIONAL CHEZ LES MUSULMANS DE RUSSIE AVANT 1920, PARIS - LA HAYE, 1964.

٣ - الصحافة والحركة القومية عند مسلمي روسيا قبل ١٩٢٠، باريس، ١٩٦٤م.

4 - ISLAM IN THE SOVIET UNION, LONDRES - NEW YORK, 1967.

٤ - الاسلام في الاتحاد السوفياتي، لندن، نيويورك، ١٩٦٧م.

كما ألف الاستاذ بنغسون مع الاستاذ (س . ب . ويمبش) كتابا آخر (S. E.

WIMBUSH)

وعنوانه : MUSLIM NATIONAL COMMUNISM IN THE SOVIET UNION A. REVOLUTI

ONARY STRATEGY FOR THE COLONAL WORLD, CHICAGO, 1979.

- القومية الاسلامية والشيوعية ، استراتيجية ثورية للعالم المستعمر، شيكاغو

١٩٧٩م.

والاستاذ بنغسون ALEXANDRE BENNIGSEN هو مدير دراسات في كلية الدراسات العليا للعلوم الاجتماعية في السوربون. أما الاستاذ شانتال لوميرسيه - كالكرجي. CHANTAL LEMERCIER / QUELQUEJAY فهي استاذ مشارك بنفس الكلية كذلك.

إننا نجد في هذا الكتاب الذى نقدمه لقراء العربية ، معلومات على جانب كبير من الأهمية والموضوعية عن الاسلام والمسلمين في الاتحاد السوفياتى، استندت إلى مصادر ودراسات علمية عديدة تم معظمها في داخل الاتحاد السوفياتى.

ولقد وصف الناشر نفسه هذا الكتاب قائلا: «لقد كُرس هذا المؤلف لدراسة مسلمى الاتحاد السوفياتى، الذين أدمجوا مع جمهرة المواطنين السوفياتيين. ولقد نسوا زمنا طويلا حتى من قبل اخوتهم في العقيدة خارج البلاد . إنهم يشكلون الآن خامس مجموعة إسلامية في العالم.

لذا فإنهم يجتذبون الانتباه ضمن إطار المشكلة الاسلامية العامة . وأن حيويتهم السكانية (الديموغرافية DEMOGRAPHIQUE) والاقتصادية والثقافية وحتى الدينية تتطلب إعطاءهم مكانتهم في حركة النهضة الإسلامية . لذا وانطلاقا من هذه الحقيقة فإنهم يشكلون اليوم واحدة من المشكلات الأساسية التى تواجه الاتحاد السوفياتى».

يحتوى الكتاب على تقديم ، وستة أبواب وخاتمة وملحق يضم ثلاث مصورات. وهو يقع في ٣٢٠ صفحة من القطع المتوسط

يضم الباب الأول أربعة فصول ، وقد خصصت للحديث بإيجاز عن انتشار

الاسلام والغزو الروسى والحركة الوطنية الاسلامية والشيوعية الوطنية المسلمة.

يبرز المؤلفان ست مراحل لانتشار الاسلام فى الاقاليم التى تعتبر الآن جزءاً من الامبراطورية السوفياتية. ولقد استمر هذا الانتشار ثلاثة عشر قرناً بدءاً من القرن السابع الميلادى.

فالمرحلة الأولى يدعوها الكتاب بمرحلة الفتح العربى، وتمتد من القرن السابع حتى القرن التاسع الميلادى. أما المرحلة الثانية فهى الاختراق السلمى عبر الطرق التجارية والتى امتدت من القرن التاسع إلى القرن الثالث عشر. وتحدد المرحلة الثالثة بدخول الامبراطورية المغولية فى الاسلام، الذى تم فى القرنين الثالث والرابع عشر الميلادى. وتميزت الرابعة بالتوسع الروسى والهجوم الاسلامى المضاد فى القرن السادس عشر.

أما الخامسة فكانت التوسع الاسلامى أيام الامبراطورية الروسية فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين. ويحصر الكتاب آخر مراحل الانتشار الاسلامى فيما بين عامى (١٩٠٥ - ١٩٢٨م).

ويجدر أن نشير إلى ماذكره المؤلفان أن الامبراطورة كاترين الثانية والتى اتبعت سياسة متساهلة نحو الاسلام فى عام ١٧٦٤م كانت ميالة شخصياً إلى الدين الاسلامى، وقد كانت تحبه «معقولاً» ومؤهلاً «لتمدين الشعوب البدوية المتوحشة» أكثر من المسيحية الأرثوذكسية.

ويكشف الفصل الثانى من هذا الباب عن أهداف الغزو الروسى لبلاد المسلمين فى منتصف القرن السادس عشر والذى تتابع حتى بداية القرن العشرين؛ فقد كانت غايته صهر أو «هضم» الشعوب الاصلية فى الامبراطورية الروسية.

أما الفصل الثالث فقد عنى بميراث الحركة القومية.

ويميز ثلاث مراحل منها

أ - الحركة القومية قبل الثورة :

يشير المؤلفان إلى أن ما أسماه بالحركة القومية الاسلامية على اختلاف فصائلها

ومذاهبها فقد كانت أهدافها النهائية متشابهة تقريبا: المساواة في الحقوق مع الروس ، الحرية الدينية، الاستقلال الثقافي، الحكم الذاتي، وفي بعض الحالات النادرة الاستقلال الكامل. ولقد كانت الاختلافات بين طروحات الحركات الدينية الاسلامية اختلافات تكتيكية فقط ولا تشمل سوى أساليب العمل ، أما الهدف فقد كان واحدا، اختيار الشريك الروسي القادر على تحرير المسلمين.

وقد مرت هذه الحركة بمراحل ثلاث: الإصلاح الدينى والإصلاح الثقافى والإصلاح السياسى. وكان لمثلئ الإصلاح الدينى أمثال شهاب الدين مردجاني (١٨١٨ - ١٨٩٩) وعبر الغيوم ناصرى (١٨٢٥ - ١٩٠٢) وموسى جارالله بيجى (١٨٧٥ - ١٩٤٩م) تأثيرا لا مثيل له على هذه الحركة ، وبفضل علمهم الدؤوب (الذى لم يقدره الغرب حق قدره، ولم يكن على علم به حتى المؤرخون المسلمون)، لم ينظر الى الدين الاسلامى كعائق فى وجه التقدم بل لقد مهد الدين الاسلامى الطريق إلى الإصلاحات فى مجالات أخرى: كاللغة والثقافة والتعليم وأخيرا التنظيم السياسى.

ب - الحركة القومية الإسلامية من شباط حتى تشرين الأول ١٩١٧م:

يبين مؤلف الكتاب فيما يتعلق بنشاط هذه الحركة فى تلك الفترة، أن المحاولة الثانية لتوحيد الأمة الاسلامية قد فشلت عشية ثورة أكتوبر الروسية نظرا للمصالح المتضاربة من الأقاليم المسلمة المنتشرة على أطراف الامبراطورية الروسية، الذى جعل الحركة الكبيرة الشاملة للأمة تتحول إلى حركة تترية - بشكيرية محضة، وعندما اندلعت الثورة الروسية فإن الأمة الاسلامية فى روسيا واجهتها بصفوف مبعثرة.

ج - القومية الإسلامية خلال الثورة والحرب الأهلية :

«لم تكن الثورة الروسية تمثل بالنسبة لكل المسلمين بداية لعصر اشتراكى جديد، ولكنها كانت تعنى لهم وبكل بساطة سقوطا للدولة الروسية المركزية، ومناسبة فريدة لتحقيق مطالبهم الوطنية».

ويشير الكتاب إلى أن السنوات الثلاث الأولى من الحرب الأهلية (١٩١٨ - ١٩٢٠م) قد شهدت محاولات كثيرة للمسلمين بهدف الحصول على الحكم الذاتى ضمن الدولة السوفياتية أو تحقيق الاستقلال الكامل.... ويؤكد المؤلفان مرة أخرى أن قادة المسلمين كانوا غير عابئين بالمظهر الاجتماعى والسياسى للثورة الشيوعية، بل كان همهم أو مشكلتهم الاساسية سواء كان ذلك فى تأييدهم للثورة أو للثورة المضادة... تنطلق من الخيار التالى : «من هو العدو الأقل خطرا بالنسبة لهم: البلشفيك أو مضادى الثورة».

وقد قام المسلمون عقب قيام الثورة الشيوعية بسبع محاولات لنيل استقلالهم السياسى فى كل من بلاد التتار وفى كرميهه CRIMEE وفى بشكيريا BACHKIRIE وفى هضاب كازاخستان KAZAKHSTAN وفى أذربيجان AZERBAIDJAN وفى شمال القوقاز وفى آسيا الوسطى، لكن هذه المحاولات أجهضت جميعها لأسباب عدة لا يتسع بنا المقام هنا لعرضها.

ويشير الكتاب إلى محاولة من نوع آخر «تمثلت فى قيام بعض قادة المسلمين من القيام بتكليف أو ملائمة الماركسية - اللينينية مع الأسس التاريخية والاجماعية والثقافية للإسلام ولكنهم فشلوا تماما فى محاولتهم هذه... ثم صفوا جسديا جميعا من قبل ستالين STALINE فيما بين ١٩٢٨ - ١٩٣٨م. وقد ترك هؤلاء تراثا غنيا وقابلا للانفجار»....، ويعود المؤلفان إلى التأكيد بأن المسلمين لم يؤمنوا أبدا بالماركسية ، وأن تحالف البعض منهم مع الثورة كان عملا تكتيكيا صرفا .

وقد تنبه لهذه الحقيقة أعداؤهم الشيوعيون، فقام هؤلاء الآخرون بتصفية قادة المسلمين تصفية جسدية حالما شعروا بفقدان الحاجة لهذا التحالف. ويذكر الكتاب عددا من قادة المسلمين ومفكرهم وعلمائهم اللامعين الذين فقدوا حياتهم ثمنا لتمسكهم ودفاعهم عن عقيدتهم الاسلامية مثل: مير سعيد سلطان كاليف MIR SAID SULTAN GALIEV (١٨٨٠ - ١٩٣٩م) وهو من أصل تتارى، وتيرار ويسكولوف TURAR RYSKOULOV (١٨٩٤ - ١٩٣٨م) من كازاخ، وأحمد بيتورسين AHMED BAYTURSUN (١٨٧٣ - ١٩٣٧م) وهو من كازاخ أيضا، ومثله كذلك على خان بوكيخانوف ALL KHAN

BOUKEYKHANOV من أوزبكستان، وعبدالروؤف فطرات ABDURRAUF FITRAT (؟) -
١٩٣٨ م (؟) وكذلك فيض الله خوجاف. FAYZULLAH KHODJAEV (١٨٩٦ - ١٩٣٨ م).
ومن التتار أيضا قالمجان GALIMDJAN |ابراجيموف IBRAGIMOV^(٦٨) (١٨٨٧ - ١٩٣٨ م)
ومن أزوري AZERI ناريمان ناريمانوف NARIMANNARIMANOV (١٨٧٠ - ١٩٣٣).

وفي الباب الثاني من هذا الكتاب الذى أفرد للحديث عن الملامح السكانية
(الديموغرافية. DEMOGRAPHIQUE) والادارية، يشير مؤلفا الكتاب إلى أن عدد مسلمى
الاتحاد السوفياتى قد بلغ (٤٣٣٩٥٠٠٠) نسمة تبعا للنتائج غير الكاملة لتعداد عام
١٩٧٩ م. وكان العدد الكلى لمواطنى الاتحاد السوفياتى فى نفس العام (٢٦٢٠٨٥٠٠٠)
نسمة. ويتوزع المسلمون على ٣٧ جنسية أو جماعة عرقية، يعيش ٧٥٪ منهم فى آسيا
الوسطى، بينما يتوزع الباقون على القوقاز وفولغا الوسطى والأورال.

وتبعا لتقديرات علماء السكان (الديموغرافيين) فإن عدد مسلمى الاتحاد السوفياتى
سوف يبلغ فى آخر هذا القرن (الميلادى) ٨٠ مليون نسمة. أى أنهم سوف يشكلون ٢٠٪
من مجموع السكان آنذاك. ويبدو أن تزايد أعداد المسلمين على نحو مرتفع يعتبر مشكلة
تقضى مضاجع السلطة المركزية السوفياتية، كما كشفت عن ذلك التعدادات العامة
للسكان فى عام ١٩٥٩ و ١٩٧٠ و ١٩٧٩ م. ويورد مؤلفا الكتاب جدولا إحصائيا تفصيليا
مهما عن جسيات وأعداد المسلمين هناك، ولعل أهم مايجب أن نشير إليه فى هذه العجالة،
هى تلك الحيوية والخصوبة المرتفعة لدى المسلمين؛ فبينما زاد عدد المسلمين بين عامى
١٩٥٧ - ١٩٧٠ بنسبة ٤٥٪، لم يرتفع عدد الروس إلا بنسبة ١٣٪ بنفس الفترة. كما زاد
عدد المسلمين فيما بين عامى ١٩٧٠ - ١٩٧٩ بنسبة ٢٣٢٪ فى حين اكتفى الروس بنسبة
زيادة قدرها ٦٥٪ فقط. وبذا يكون عدد المسلمين قد ارتفع فيما بين ١٩٥٩ - ١٩٧٩
بنسبة ٤٣٨٪ بينما لم يزد الروس أكثر من ١٦٩٪ بنفس الفترة. وهكذا فقد ارتفعت نسبة
المسلمين إلى مجموع السكان فى الاتحاد السوفياتى من ١١٦٪ فى عام ١٩٥٩ إلى ١٦٥٪
فى عام ١٩٧٩.

وانطلاقا من هذه الحقائق السكانية (الديموغرافية) يكشف مؤلفا الكتاب عن خطر
يسميه العسكريون هناك بـ صفرة (من اللون الاصفر) الجيش الاحمر حيث يبلغ عدد

غير الأوربيين في هذا الجيش حوالى ٢٥٪ من تعداد أفرادهم، ولا سيما من بين الاتراك المسلمين في آسيا الوسطى.

أما الباب الثالث فيحتل ثلث الكتاب تقريبا ويشمل سبعة فصول . وقد خصص هذا الباب للحديث عن الشعوب الاسلامية، وقد قسمها المؤلفان تبعا لأوضاعها الادارية من جهة وتبعا لعدد المسلمين بها من جهة أخرى؛ فهناك من البلدان ما يمكن تسميتها بلدانا إسلامية خالصة، ومنها تلك التى يشكل المسلمون فيها أقليات دينية وعرقية بسيطة. ولقد اهتم الفصل الأول من هذا الباب بالجمهوريات الاسلامية الاتحادية (الفيدرالية) وهى:

- أ - جمهورية أذربيجان الاشتراكية السوفيتية.
- ب - جمهورية أوزبكستان الاشتراكية السوفياتية .
- ج - جمهورية كازخستان الاشتراكية السوفياتية .
- د - جمهورية طاجكستان الاشتراكية السوفيتية .
- هـ - جمهورية كيرغيزيا الاشتراكية السوفياتية
- و - جمهورية تركمنستان الاشتراكية السوفيتية .

أما الفصل الثانى فيتحدث عن الجمهوريات الاسلامية ذات الحكم الذاتى وهى:

- أ - جمهورية تاتارستان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.
- ب - جمهورية بشكيريا الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.
- ج - الكاباردو - بالكا - الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.
- د - الكاباردو داغستان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى .
- هـ - الكاباردو ، تشتشينو - اينقوش الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.
- و - الكاباردو كاراكباكستان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.
- ز - الكاباردو ناختشيفان الاشتراكية السوفياتية ذات الحكم الذاتى.

ويقدم المؤلفان في الفصلين السابقين معلومات ضافية عن هذه البلدان من النواحي

الجغرافية والادارية، ونجد كذلك معلومات مهمة عن الوضع السكانى (الديموغرافى) والمعطيات العرقية (الانثوغرافية) واللغة والثقافة ، كما نجد معلومات تفصيلية عن المعطيات الدينية والهوية الوطنية والقومية لكل بلد منها.

أما الفصل الثالث من هذا الباب فيتحدث عن مناطق الحكم الذاتى بشئ من الاختصار وهى:

- أ - منطقة الاديفيس ذات الحكم الذاتى. "LESADYGHES"
- ب - منطقة الكاراتشاى - الجركس ذات الحكم الذاتى .
- ج - منطقة غورنو - باداخشان ذات الحكم الذاتى.
- د - منطقة الناغورنو - كاراباخ ذات الحكم الذاتى .

واهتم الفصل الخامس بالجماعات العرقية ETHNIQUIS والاقليات الأجنبية التى لا تتمتع باستقلال ذاتى معترف به وهم:

- أ - البالوتش.
- ب - الايرونيون (وهم من أصل فارسى).
- ج - الترك .
- د - عرب آسيا الوسطى.

ثم يتطرق الفصل السادس للأقليات المسلمة جزئيا. وهذه الفئة تتألف من ست أمم أو قوميات لم يكتمل إسلام جميع أفرادها فبقيت غالبيتها مسيحية تضم بينها أقليات إسلامية متفاوتة الأهمية وهى:

- أ - الأوسيتون .
- ب - الأبخاز .
- ج - الجورجيون المسلمون .
- د - الأرمن المسلمون .
- هـ - الطاط المسلمون .
- و - النور TZIGANES المسلمون.

وخصص الفصل السابع والأخير من هذا الباب لما يدعوهـم الكتاب بالمحسوبيـن على الاسلام أو المتظاهرين بالاسلام CRYPTO.MUSULMANES وهـم التشالا والبسرمن. ويقدر عددهم بـعدة آلاف فقط، كما أنهم قليلو الأهمية كذلك

وفصول هذا الباب ليست متقاربة لا في عدد صفحاتها ولا في التفصيلات التي تقدمها عن هذه الشعوب الاسلامية. وهكذا بينما شغل الفصل الأول ٤٥ صفحة، نجد أن الفصل السابع قد اكتفى بصفتين اثنتين فقط ولقد كان لعدد المسلمين ولنوعية تنظيمهم الادارى ضمن الدولة السوفياتية الدور الحاسم في هذا المجال.

يحمل الباب الرابع العنوان التالى : المظهر الدينى ... وقد كرس الفصل الأول منه للحديث عن الشعائر والمذاهب المختلفة. فبين من ذلك أن الغالبية الساحقة من مسلمى الاتحاد السوفياتى هم من السنة، وينتمى جلهم إلى المذهب الحنفى ، فيما عدا الداغستانيون فهم من الشافعية. ويشير الكتاب إلى أن بعض المسلمين قد فقدوا كثيرا من أمور دينهم خاصة تلك التى تتعلق بإقامة شعائر عقيدتهم وممارستها، ولكن هذا لم يمنع هؤلاء المسلمين من اتباع نمط عيش اسلامى ومن الاستجابة لبعض العادات ذات الجذور الاسلامية.

ويتيح لنا مؤلفا الكتاب مرة أخرى أن نتبين من مطالعة هذا الفصل أهمية الكتاب وفائدته فيما يقدم لنا من معلومات وإحصاءات دقيقة عن أعداد مسلمى الاتحاد السوفياتى اليوم مع ان الاحصاءات الرسمية والمتابعة فى هذا البلد لا تذكر الانتماء الدينى لمواطنى الاتحاد السوفياتى. (وهى إحصاءات ١٩٢٦ / ١٩٣٩ / ١٩٥٩ / ١٩٧٠ / ١٩٧٩م).

يحمل الفصل الثانى من هذا الباب العنوان التالى: الحكومة السوفياتية والاسلام. وهو يكشف عن المحاولات العديدة والحثيثة للسلطة السوفياتية الهادفة إلى غرس الأيديولوجية الماركسية اللينينية الملحدة. وقد اصطحبت هذه المحاولات الشريرة بمحاربة الدين عموما وبمحاربة الدين الاسلامى على وجه الخصوص بدرجة مستمرة ومكثفة.

ومع ذلك فقد عرف موقف السلطة السوفياتية من الدين الاسلامى هبوطا وارتفاعا منذ ١٩١٧م إلى يومنا هذا ... فقد كانت حدة عداء السلطة السوفياتية للدين الاسلامى تخف في وقت الحرب والازمات ... إلا أنها شهدت مراحل عديدة من التعسف والقسر الشديد بهدف القضاء على هذه العقيدة . ولقد نظر باستمرار إلى الاسلام على أنه حاجز على الطريق المؤدية إلى الشيوعية . ويشير المؤلفان إلى أن السلطة السوفياتية قد عمدت إلى ضرب الأسس الاقتصادية والحقوقية (الشرعية) للاسلام ... فقد ألغيت المحاكم القرآنية (الشرعية) والقبلية (العادات) في عام ١٩٢٤م. وفي عام ١٩٢٨م أغلقت كل المدارس الدينية الابتدائية والثانوية والتي كان عددها في عام ١٩١٧م ١٥٠٠٠ مدرسة. كما تم بعد ذلك (في عام ١٩٣٠م) حجز ما تبقى من أوقاف اسلامية كانت تؤمن الاستقلال الاقتصادى والقوة لعلماء الدين المسلمين. ويذكر المؤلفان أن المساجد التي كان عددها في عام ١٩١٢م ٢٦٠٠٠ مسجدا أو جامعا لم يبق منها سوى ١٠٠٠ مسجد في عام ١٩٤١م عقب الهجوم المباشر ضد الدين الاسلامى الذى بدأ عام ١٩٢٨م.

لقد كان عهد خروتشيف عهد صلابة وعنف ضد الاسلام والمسلمين وشكل عهده هذا نهاية لفترة ما يمكن أن يسمى بمرحلة الوفاق» ... حيث اقلقت معظم المساجد المفتوحة للعبادة فهبط عددها من ١٥٠٠ في عام ١٩٥٨م ليصبح ٥٠٠ مسجد فقط في عام ١٩٦٥م. وإلى جانب ذلك قامت حملة إعلامية مكثفة ضد الدين جذدت لها كل وسائل الاعلام. كما طبع فيما بين عامى ١٩٥٤ - ١٩٦٤ تسعمائة وعشرون مؤلفا مناهضا للاسلام فى مختلف لغات الشعوب الاسلامية... وبعد سقوط خروتشيف بدأت مرحلة جديدة لا تزال مستمرة إلى الآن وهى وان شهدت تخفيفا للهجوم الشامل على الدين ، لكن الدعاية المعادية للاسلام نظمت وتتابع بشكل علمى ومنهجى أكثر خبثا؛ فقد هجرت السلطة السوفياتية هجوماتها ضد رجال الدين «لأنها أدركت أن هذا الأمر غير مجد وغير منتج بل تحاول إقناع رجال الدين القيام بحملات إعلامية داخل وخارج الاتحاد السوفياتى لإظهار النجاح الذى تشهده حياة المسلمين فى هذا البلد . لكن هذا التقارب ليس إلا عملية تكتيكية فقط، لا يستطيع مطلقا أن يغير الأساس الأيديولوجى للشيوعية المعادى للدين أصلا (ص ١٨٩). لذا فإن الحزب الشيوعى السوفياتى لا يمكنه مطلقا أن يبقى غير مبال أو أن يكون حياديا حيال الاسلام؛ فالشيوعية والدين لا يلتقيان مطلقا.

إن الفرق الوحيد بين حقبة لينين وستالين وبين الفترة الحالية^(١) يكمن فقط في الطريقة التي تتبعها السلطة السوفياتية لإضعاف الاسلام واضمحلاله.

ويبدو أن السلطة السوفياتية تفضل في الوقت الحاضر الصراع الايديولوجي والتربية والاقناع على الضغط الادارى والعنف.

اما الفصل الثالث فيحدثنا عن تنظيم الدعاية المناهضة للدين في الاتحاد السوفياتى ولا يتسع بنا المجال أن نذكر تفاصيل هذه الحملات ضد الدين الاسلامى في الاتحاد السوفياتى ، ولعل الفصل السابق يتيح للقارى أن يستنتج بعض ما يمكن أن تكون عليه هذه الحملات. إنها تشكل آلة ثقيلة ومكلفة تستخدم آلاف الاختصاصيين وتقوم بها أجهزة أعدت خصيصا لهذه الغاية. يقوم بهذه المهمة «الشريرة» فريق كبير يبدأ بالمرشدين الأساسيين في التعاونيات والذين لا يتورعون عن القول بأن: «غاغارين لم يلق الله (جل شأنه) في الفضاء» ... وينتهى بالاستاذ الجامعى المتمرس في تعرجات وبراهين المادية الديالكتيكية. ومع ذلك تجدر الاشارة أن المصادر السوفياتية تشكو بسذاجة من عدم كفاية هذه الدعاية، ومن اللامبالاة بل العداوة التى يظهرها السكان المسلمون لأى هجوم موجه ضد الاسلام. ويذكر مؤلفا الكتاب عدداً من الدراسات التى كشفت حقيقة ذلك.

«الاسلام الرسمى» ذلك هو عنوان الفصل الرابع من هذا الباب.

وقد عنى المؤلفان بهذه العبارة ، تلك الادارة الخاصة التى كونتها السلطة السوفياتية المركزية من عدد من الموالين لها تماما من بين علماء المسلمين، ولها هدف معلن يتمثل في مساعدة المؤمنين. لكن غايتها المستترة هى إبقاء الاسلام والمسلمين تحت رقابة الحكومة السوفياتية. ويعود إنشاء هذه الادارة إلى ستالين STALINE والذى استوحاها من تدابير كاترين الثانية.

ينظم العلاقات بين المؤسسة الدينية الاسلامية والحكومة السوفياتية مجلس الشؤون الدينية لدى مجلس وزراء الاتحاد السوفياتى.

(١) يجدر أن نشير أن هذه الفترة التى يشير إليها الكتاب انتهت بموت بريجنيف في نهاية عام ١٩٨٢م.

ولقد قسم «الاسلام الرسمى» من الناحية الجغرافية بين أربع إدارات روحية تشرف عليها لجنة تنفيذية يرأسها المفتى المختار من بين الأربعة . وهذه الإدارات هى:

- ١ - الادارة الروحية لمسلمى آسيا الوسطى وكازاخستان.
- ٢ - الادارة الروحية لمسلمى روسيا الأوربية وسيبيريا.
- ٣ - الادارة الروحية لمسلمى القفقاس الشمالى والداغستان.
- ٤ - الادارة الروحية لمسلمى القفقاس.

إن هؤلاء المسئولين فى الإدارات الاسلامية هم الوحيدون المسموح لهم بتمثيل «الاسلام السوفياتى» خارج البلاد... وهم يتمتعون بثقة السلطة السوفياتية ويقدمون لها الولاء الكامل الذى يشبه ولاء العبد لمولاه على حد تعبير مؤلفا الكتاب. ويكفى أن نورد كدليل على طبيعة هذه العلاقة تصريح المفتى ضياء الدين باباخانوف لأحد الصحفيين الفرنسيين فى شهر أيلول ١٩٨٠م حيث يقول: «لا يوجد أى عداوة بين حكومتنا القائمة على الماركسية ورجل الدين المسلم الذى يبنى حياته على أساس عقائد الاسلام. وليس هناك عداوة بين الملحدين والمؤمنين ولا مشاحنات بينهم... ولهذا السبب نحن مسرورون جدا من حكومتنا» إن هذا التصريح يشكل نموذجا لموقف رجال الدين الرسميين والذين يمثلون فى الحقيقة الحكومة السوفياتية لا الشعوب المؤمنة المسلمة.

أما الفصل الخامس، فيتحدث عن «الاسلام الرسمى ووسائل الاعلام». ولعل توضيح العلاقة بين المسئولين الدينيين الرسميين وبين السلطات الحكومية يغنى عن الإسهاب فى موضوع هذا الفصل، فكل نشاط هؤلاء المسئولين فى مختلف وسائل الاعلام والاتصال يكشف عن التوافق الكامل بل التآثل شبه المطلق بين وجهات نظرهم وبين الخط الرسمى لأجهزة الدعاية الرسمية فى الدولة.

ويكشف الفصل السادس عن السياسة الخارجية التى تتبعها السلطة السوفياتية منذ سقوط خروتشيف، فيبين أنها تهدف إلى انتهاج سياسة خارجية اسلامية ثابتة، وهى تجعل من رجال الدين الرسميين «سفراء» حقيقيين مكلفين أن يبرهنوا أن الاتحاد

السوفياتى ربما يكون أفضل حليف للعالم الاسلامى، ويتم ذلك عبر قناتين متوازيتين لتحقيق هذا الهدف وهما:

- أ - انفتاح «الاسلام السوفياتى» تجاه المسلمين الأجانب.
- ب - تنظيم زيارات مستمرة لقادة المسلمين للعالم الاسلامى.

وباختصار يذكر مؤلفا الكتاب أن التعاون بين حكومة الاتحاد السوفياتى والقادة المسلمين هناك يتم لمنفعة الأولى بوجه دائم عموماً.... لكن هذا لا يمنع المؤلفين أن يشيرأ إلى المكانة القوية التى يتمتع بها رجال الدين المسلمين بالمقارنة مع وضع البطريك رئيس الكنيسة الارثوذكسية الروسية.

أما الفصل السابع فيناقش ما يدعى «بالاسلام الموازى»

لقد أطلق تعبير «الاسلام الموازى» من قبل الاختصاصيين السوفيات حوالى ١٩٦٥م للدلالة على مؤسسة دينية يصعب تحديدها بدقة وهى «الاسلام الموازى» بالاسلام النشط.. وهو يضم إلى جانب غالبية من المؤمنين كبار السن بمجموعات من مريدى الطرق الصوفية المختلفة.... وتؤكد الجهات الرسمية الحكومية أن «الاسلام الموازى» أكثر حركة (ديناميكية) بما لا يقاس من «الاسلام الرسمى». ويمكننا أن نوجز ماكتبه ل . كليموفتش فى هذا الصدد حيث يقول: «نجد فى الاتحاد السوفياتى تيارين متضادين، تيار رسمى داخل الجامع» يمثله رجال الافتاء الأربعة وشيخ الاسلام ورجال الدين الرسميون فى الادارات الروحية الاسلامية الأربع... والتيار غير الرسمى «خارج الجامع» أى التيار الصوفى...».

وفى الاتحاد السوفياتى طرق صوفية كثيرة، لكن هناك اثنتان فقط تلعبان دورا شديد الأهمية نظرا لمناهضتهما للروس والسوفيات من جهة، ونظرا لدرجة انتشارهما الواسعة من جهة أخرى وهما:

١ - الطريقة النقشبندية .

٢ - الطريقة القادرية .

ويذكر مؤلفا الكتاب أنه قد كان لمريدى هاتين الطريقتين كفاح عظيم ضد السلطة السوفياتية الذى استمر منذ عام ١٩١٨ إلى عام ١٩٤٧م. ولم يتوقف هذا الكفاح إلا بعد مذابح وتصفيات جسيمة عديدة اقترفتها هذه السلطة ضد المسلمين وشيوخهم.

ويكشف الفصل الثامن والأخير من هذا الباب عن مستوى ودرجة الشعور الدينى عند مسلمى الاتحاد السوفياتى . ويعتمد مؤلف الكتاب على دراسات عديدة تمت هناك ومن قبل باحثين سوفيات أيضا، تشير جميعها إلى النسبة المرتفعة من المؤمنين المتمسكين بعقيدتهم الاسلامية من بين الشعوب الاسلامية وبالرغم من كل محاولات الفساد التى مارستها السلطات الحكومية هناك.. بل إننا نشهد اليوم يقظة دينية جديدة تحالف كل توقعات الايديولوجيين الرسميين هناك...

ففى أيلول ١٩٨٠م طلب صحافى فرنسى من زعماء دين مسلمين رأيهم حول تأثير الدعاوة الملحدة على الجيل الجديد. فأجابه مصطفى مالىكوف إمام وخطيب مسجد أورغينتش بما يلى: «يهاجم الملحدون الدين عامة وليس المؤمنين، ولا يمكن لدعاوتهم أن تؤثر على مسلمينا أبدا. أما عاداتنا فقد ورثناها عن أجدادنا ، ولا يستطيع شعبنا أن ينساها. ونحن نمارسها اليوم مثلما مارسها أجدادنا أجيالا وأجيالا.. إن الاسلام يظل دين المسلمين. ونحن نؤمن مثلما كان يؤمن أجدادنا». كما أجاب على سؤال محدد عن المستوى الدينى عند شبيبة هذه الأيام قائلا : «إذا قارناه بمستوى الجيل الماضى (منذ ٢٠ إلى ٣٠ سنة) نراه أكثر ارتفاعا اليوم» ويخلص مؤلف الكتاب بعد معالجة شيقة وموثقة لموضوع هذا الفصل إلى النتيجة التالية: «نستطيع القول انه لا يوجد حتى فى أيامنا هذه ملحدون بالمعنى المطلق للكلمة فى الاقاليم الاسلامية من الاتحاد السوفياتى: فالملحد هناك سيكون موضوع سخرية عامة لأن نفى وجود الله (جل شأنه) لا يعتبره المسلم علامة ثورة عبثية أو ثمرة فلسفة عميقة بل نوعا من الغباوة يحط من شأن الانسان إلى مستوى دون مستوى البهيمة. (ص ٢٥٢).

أما الباب الخامس فهو صغير نسبيا ، ويقع فى حدود أربع عشرة صفحة فقط، وهو يشتمل على فصلين ، اهتم الأول منها بقضية الأمة الاسلامية والحكومة السوفياتية

فيشير مؤلفا الكتاب إلى أن الشعوب الاسلامية لم تكن قد وصلت إلى مرحلة النضج التي تتيح لها تكوين أمة اسلامية موحدة مع بداية الثورة الروسية. وخلال السنوات العشر الأولى من عمر النظام السوفياتي كان عليه أن يواجه أشد المسائل مدعاة للجدل، وهي: هل أن الامة الاسلامية امة احادية القومية أم متعددة القوميات ؟ ومن الوجهة النظرية كان هناك ثلاثة حلول ممكنة وقابلة للتطبيق على الأمة الاسلامية :

- أمة واحدة تشكل دولة واحدة .
- أمة موزعة على حكومات عدة .
- مجموعة دول قومية .

في السنوات الأولى للثورة الروسية عامل القادة السوفيات ومنهم لينين وستالين الشعوب الاسلامية كأمة موحدة ولكن موزعة على عدة دول . وبعد ذلك حسمت مسألة وحدة أو تعددية «الاسلام السوفياتي» بشكل نهائي في عام ١٩٢٤م لصالح التجزئة عندما عمدت موسكو إلى رسم حدود أهم دول ست في آسيا الوسطى هي: كازاخستان وكيرخيزيا وأزبكستان وتركمنستان وتدجيكيا وكارالكباكيستان. ولقد تم ذلك اعتبارا لكونه نفذ اعتمادا على المؤشرات التي رسمها ستالين.

إن إنشاء الدويلات القومية استدعى إطارات قومية لتتولى الادارة السياسية الاقتصادية والثقافية في هذه الجمهوريات ، وقد استتبع إنشاء هذه القوميات واصطناعها، أمرا أكثر صعوبة من خلق لغات أدبية لها ، ألا وهو اكتشاف ماضي يتناسب مع كل هذه الأمم الست. أي أن هذه القضية الاخيرة استدعت إيجاد تراث تاريخي وسياسي وثقافي خاص بكل منها، وعليه أن يكفل كذلك تمييز بعضها من بعض.

إن هذه السياسة القاضية بتفريق الأمة الاسلامية وتشتيت شملها طبقت بشكل يلفت النظر أيضا على الصعيد اللغوي بغية إحكام فرقة هذه الامة ثقافيا وروحيا ؛ ففي عام ١٩٦٠ بلغ عدد اللغات الاسلامية «في الاتحاد السوفياتي ٣١ لغة. ويشير مؤلفا الكتاب إلى التصفية الجسدية التي تعرض لها كل القادة المفكرين المسلمين الذين حاولوا منذ عام ١٩٢٠م إلى ما بعد عام ١٩٣٧م الحفاظ على وحدة اللسان في آسيا الوسطى

أمثال أعضاء جمعية التشاغاتاي... ثم جمعية (كيزيل كلام) الريشة الحمراء. وهكذا استمرت سياسة التفريق لشعوب الامة الاسلامية إلى الحد الذى أصبح فيه القادة السوفيات يتبادلون دوريا التهانى على النجاح النهائى «للسياسة اللينينية» بشأن القوميات، ويعلنون أن الولاءات القومية هى التى كتب لها البقاء فى الاقاليم الاسلامية، أما ما يسمى بالولاءات فوق - قومية فقد زالت تماما باستثناء الولاء للاتحاد السوفياتى.

فهل هذا صحيح ؟

يجيب الفصل الثانى من هذا الباب على هذا السؤال بالنفى وهو يتحدث عن مستويات الشعور القومية عند مسلمى الاتحاد السوفياتى مؤكدا الحقائق التالية:

أ - استمرار الولاء والروابط القبلية والعشائرية لدى الكثير من الشعوب الاسلامية بالرغم من آراء القادة السوفيات المفرقة فى التفاؤل باعتقادهم أن هذه الروابط قد انتهت منذ زمن... لكن المتخصصين السوفيت لا ينكرون اليوم وجود ما أسموه بالمخلفات تحت - قومية ويبينون أخطارها التى يختصرها (ب بوافيا) (P.BUEVA) قائلا: «عندما تقدم البيئة التقليدية التى تشكل أفق المؤمن وتكون عاداته وتقاليده وتكون النظام الخاص للعلاقات الانسانية والسلوك النفسى الخاص بالافراد انها تقدم للمؤمن قبا وسلوكاً لا يتناسب بل حتى يتناقض مع القواعد الرسمية التى يتلقاها من المجتمع السوفياتى مما يؤدى إلى انقسام شخصية المؤمن أو تجعله يختار موقفا عدوانيا تجاه المجتمع وقيمه»

L. P. BUEVA SOTISIAL NAYA SREDAI SOZNANIE LICHNOSTI, MOSCOU, 1968, pp.

(203 - 204.

ب - لقد أطلق على الولاء للروابط القبلية والعشائرية بالشعور «مادون القومى» أما الشعور الدينى أو الانتماء إلى العقيدة الاسلامية فيدعى الشعور «ما فوق القومى» ان هذا الشعور الأخير يتعدى حدود القومية. وبالرغم من أن الحكومة السوفياتية قد وضعت نصب عينيه إضعاف الشعور بالوحدة الاسلامية عندما جهدت منذ ١٩٢٨م لتدمير الدين الاسلامى، غير أن سعيها الطويل انتهى إلى الفشل الذريع

بل لقد تبين لها أن الاتحاد الوثيق بين المفهوم الدينى والمفهوم الوطنى لم يجد فى كل العالم الإسلامى أرضاً أكثر خصباً من الأقاليم الإسلامية فى الاتحاد السوفياتى. ويؤكد مؤلفا الكتاب أن الإسلام متغلغل فى كل طبقات المجتمع أعمق من أى دين آخر، كما يؤكد أن كذلك أن الشعور القومى (الوطنى) ينمو حالياً لدى الشعوب الإسلامية وأنه يتطلع فى بلاد الأذربك إلى قيادة مختلف الشعوب الإسلامية فى الاتحاد السوفياتى.

إن هذه الحقائق التى يوردها الكتاب الذى بين أيدينا تشير جميعها إلى حقيقة راسخة وهى خلود هذه العقيدة الإسلامية واستمرارها ، وفشل كل المحاولات التى بذلت وتبذل لإضعافها... بل لقد تبيننا أنها اليوم - بفضل الله - أقوى وأعمق من أى يوم مضى.

أما الباب السادس والأخير من هذا الكتاب فقد خصص للحديث عن علاقة «الإسلام السوفياتى والعالم الإسلامى الخارجى». ويتألف هذا الباب من فصلين اثنين، ناقش الأول الاتصالات مع العالم الإسلامى الخارجى. ونميز فى تاريخ هذه الاتصالات خمس مراحل:

المرحلة الأولى : «الإسلام الروسى» يفتش فى الخارج عن توجهاته السياسية (١٩٠٥ - ١٩١٧ م) أى فيما بين الثورتين الروسييتين. لقد التمس آنذاك، مسلمو روسيا أنماطهم السياسية والتنظيمية من الخارج فاستوردوا من تركيا أدبهم السياسى ٤ ومن العالم العربى نظريات سياسية ليبرالية مثل نظرتى الشيخ محمد عبده ورشيد رضا القريبيتين من أفكار اسماعيل غسبرالى.

أما المرحلة الثانية فيدعوها الكتاب، مرحلة الشيوعية القومية، وقد تميزت بمحاولة الإسلام السوفياتى «تصدير ايدولوجيات للعالم الإسلامى (١٩١٨-١٩٢٨م) وتلخص هذه المرحلة برغبة السلطات السوفياتية استخدام المسلمين هناك لتصدير الأفكار والدعاية الشيوعية. ولكنها انتهت بالفشل كما سبق وتبيننا من عرضنا للأبواب السابقة.

أما المرحلة الثالثة فقد كانت على نقيض سابقتها تماماً؛ فقد دعت بمرحلة الستار

الحديدي: أو عزلة «الإسلام السوفياتي» ١٩٢٨-١٩٤٢م. ولقد غرقت دولة ستالين بالدماء عقب عام ١٩٢٨، وصفت كل النخبة المثقفة المسلمة التي سبقت الثورة... وأسدل ستار حديدي أصم، ليعزل بإحكام الأقاليم الإسلامية في الاتحاد السوفياتي عن سائر العالم الإسلامي خلال تلك الفترة.

أما المرحلة الرابعة، فهي تلك التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، وامتدت فيما بين ١٩٤٥-١٩٧٧م. ولقد تميزت هذه المرحلة بما دعى: استعادة متواضعة للاتصالات «المراقبة» بين الإسلام في الاتحاد السوفياتي وبقية العالم الإسلامي.

أما المرحلة الأخيرة فيصفها مؤلفا الكتاب بالتجربة الفاشلة: المسلمون السوفيات في أفغانستان والتي تبدأ في عام ١٩٧٨م. يمكننا أن نفترض كما يقول مؤلفا الكتاب إن النخبة من مسلمي الاتحاد السوفياتي (سواء كانت الشيوعية أو المسلمة) قد استقبلت برضى المغامرة الأفغانية؛ فقد اعتقد بعض هذه النخبة أنهم يحررون إخوتهم الأوزبكيين والتدجيك من نير «الاقطاعيين المحليين» ومن الامبرياليين الأمريكيين والصينيين، واعتقد البعض الآخر أن العون الثمين الذي يسدونه للروس في هذه المغامرة من شأنه أن يؤمن لهم وضعاً أفضل في المساومة مع «أخيهم البكر». كما أن هذه المغامرة قد تضيف أيضاً ١٥ مليون مسلم جديد إلى الـ ٤٥ مليون مسلم في الاتحاد السوفياتي. مما يتيح للمسلمين أن يشكلوا حوالى ٤٣٪ من عدد الروس (١٣٧) مليون.

لكن النتائج التي ظهرت لهذه المغامرة لا تتفق مع توقعات الروس أو المسلمين فالوحدات السوفياتية التي كانت تضم نسبة عالية من الجنود السوفييت المسلمين يبدو أنها لم تكن مخصصة في البداية لمحاربة المجاهدين الأفغان. وعندما اضطرت السلطات السوفياتية لزجها في عمليات القمع تبين أنها غير فعالة، الأمر الذي جعل السلطات السوفياتية تسحبها جميعاً من أفغانستان وتستعيض عنها حصراً بجنود روس وغيرهم من «الأوروبيين». كما سحّب المستشارون الآسيويون المسلمون من الإدارة الأفغانية واستبدلوا بهم إداريين روس. إننا لا نجد جواباً عسكرياً لهذه الاجراءات. ويعتقد مؤلفا الكتاب أنه قد تمت اتصالات بين الأفغان المسلمين وإخوانهم في الدين (الآسيويين)،

وهي اتصالات لم يكن باستطاعة الروس مراقبتها لجهلهم اللهجات المحلية... كما أن حالات الفرار التي قام بها بعض الجنود السوفييت المسلمين - على ندرتها - ذات دلالة قوية. ولعل هذا الأمر، يفسر بيقظة الشعور الديني التي حصلت لدى المسلمين السوفيات فرفعت التضامن الديني إلى مكانه الصحيح أى فوق التضامن العرقى... أو غيره... وجعلت هؤلاء الجنود يلتحمون مع المناضلين الأفغان ضد الغازى «الكافر». ومهما يكن من أمر فقد انتهت محاولة الروس الجديدة لاستخدام مسلمين سوفيات في بلد إسلامى غريب إلى فشل واضح....^(٢)

يعود الفصل الثانى والأخير من هذا الباب ومن هذا الكتاب أيضا مرة أخرى إلى الحرب الأفغانية، ذلك عندما يعالج مؤلفا الكتاب من جديد تأثير الإسلام الخارجى «على الإسلام السوفياتى». فيشيران إلى أنه إذا قيس للمقاومة الأفغانية المسلمة أن تستمر طويلا - وهذا أمر شديد الاحتمال - فسوف يكون لها بالنسبة «للاسلام السوفياتى» النتائج التالية:

١ - يمكنها أن تصبح النموذج البطولى للمقاومة، والذى من شأنه أن يستثير الذكريات القديمة التي لم تندمل بالكامل عن حركة البعثية في آسيا الوسطى وانتفاضة القوقاز. وحتى لو دحرت بالقوة فقد تلعب دورا شبيها بالدور الذى كان للمقاومة في جبال القوقاز، في إيقاظ الحركات الوطنية داخل امبراطورية القيصرية في القرن

(٢) لعله من المفيد أن نشير هنا إلى بعض الأرقام المتعلقة بتطور عدد أفراد القوات السوفياتية الغازية، وعدد أفراد الجيش الافغانى، وهي ذات دلالة كبيرة جدا. وقد نشرتها قبل أيام فقط مجلة أفريقيا الشابة JEUNE AFRIQUE الناطقة بالفرنسية بعد ثلاثة أعوام من تدخل الروس في افغانستان، فنشير أن الجيش الافغانى كان تعداد أفرادها (في بداية الغزو) ١٠٠.٠٠٠ رجل في عام ١٩٧٩، أما اليوم فلا يزيد عدد هؤلاء عن ٢٠.٠٠٠ فقط على أكبر تقدير، في حين أن قوات الجيش الاحمر التي كانت ٢٠.٠٠٠ فرد في نفس العام قد زادت لتصبح ٨٠.٠٠٠ ثم ١٠٠.٠٠٠ وربما عددها اليوم ١٢٠.٠٠٠ جدى. كما تؤكد هذه المجلة أن صورة الاتحاد السوفياتى قد لغيت ضربة قاتلة نتيجة الغزو ليس فقط في العالم العربى والاسلامى بل وفي العالم الثالث أيضا.

(JEUNE AFRIQUE, No 1151 DU JANVIER 1983. PP.48 - 49.)

التاسع عشر. أما إذا طالت ونجحت فإنها ستستطيع البرهان أمام أعين المسلمين السوفييات أن « الأخ البكر الكبير » ليس من النوع الذى لا يمكن قهره.

٢ - ان طابع الجهاد أو «الحرب المقدسة» الذى تتصف به المقاومة الافغانية كفيل بأن يشكل نموذجاً ومصدراً تستلهمه الأخويات «الصوفية فى القفقاس وآسيا الوسطى».

٣ - ان مقاومة أفغانية طويلة الأمد من شأنها أن توقظ لدى النخبة أو الصفوة الاسلامية السوفياتية شعوراً بالتضامن الدينى والعرقى مع «أبناء العم» الأفغان الذين يقتلهم «الأخ البكر الكبير» فلا يستبعد نتيجة لذلك عودة الايديولوجيات المنادية بالوحدة الاسلامية وبالوحدة التركية التى لم تنس مطلقاً بشكل كامل.

وفى النهاية لابد من التذكير بأنه إذا كان العالم الاسلامى يجهل عامة ما يجرى فى الاتحاد السوفياتى فإن المثقفين المسلمين فى آسيا الوسطى والقفقاس يتابعون من جانبهم عن كثب التطور الحاصل فى البلاد الإسلامية الأخرى سعياً وراء أنماط ممكنة.

أخيراً يتساءل مؤلفا الكتاب عن المعنى الحقيقى للمغامرة السوفياتية فى أفغانستان هل هى استراتيجية دفاعية مخصصة لحماية مناطق الجنوب، نقطة ضعفه الحقيقية من عدوى أيديولوجية خارجية، أم هى بداية محاولة تهدف إلى سيطرة الاتحاد السوفياتى على العالم الاسلامى؟ وهل هذه المحاولة هى تحقيق للحلم القديم الذى ما فتى يراود الروس بأن يصلوا إلى البحار الدافئة. ويختتم المؤلفان دراستهما متسائلين عن الدور الذى يمكن أن يلعبه مسلمو الاتحاد السوفياتى تجاه هذا المد السوفياتى. هل سيكون كابحاً له، أم عقبة أمامه، أم هل سيكون على العكس من ذلك مسرعاً له؟ وفى هذه الحالة الأخيرة هل يقنع مسلمو الاتحاد السوفياتى بأن يكونوا مجرد «سير لنقل الحركة» فى خدمة الايديولوجية الروسية أم هل يريدون (وسيقدررون على) أن يوجهوا لصالحهم الصراع بين العالمين الشيوعى والرأسمالى ليصبحوا بذلك «سلاجقة» القرن العشرين (أو الحادى والعشرين) فينطلقون مثل أسلافهم من أعماق آسيا الوسطى فيعتلوا خشبة مسرح التاريخ ليقفوا الزحف البيزنطى ويعيدوا وحدة الاسلام وعظمته؟ إن هذا الأمر يتعلق وبدرجة كبيرة على الموقع الحالى والمقبل لمسلمى الاتحاد السوفياتى فى العالم، ويتوقف خاصة على

السؤال الأساسى التالى: هل هم، وهل سيقون فى المستقبل، أعضاء نشطين فى أمة المؤمنين؟.... ويختتم الكسندر نينغسون وشتال لوميرسية كتابها قائلين: لقد حاولنا بهذه الدراسة المتواضعة أن نقدم إجابة على هذا السؤال.....
وبعد إن هذا الكتاب.....

LES MUSULMANS OUBLIES

L ISLAM EN UNION SOVIETIQUE.

يتجه إلى جمهور عريض جدا من القراء؛ فقد ابتعد عن التعقيدات النظرية، وعن أن يكون ضد اتهامات المختصين فقط... وهو زاخر جدا بالمعلومات المفيدة والجديدة عن الإسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفياتى. إنه يفيد عالم الاجتماع والجغرافى والمؤرخ مثلما يفيد رجل الدين ورجل الدعوة الإسلامية على السواء. وإن المكتبة العربية تفتقر حقيقة لمثل هذه المعلومات التى يقدمها هذا الكتاب. ولقد عمدنا لعرض محتويات هذا الكتاب وأبوابه وفصوله بشئ من التفصيل آملين أن نعوض بذلك قارئ العربية عن صعوبة الوصول إليه باللغة الفرنسية.

ولا ننسى أن نشير إلى أهمية المراجع BIBLIOGRAPHIE التى ذكرها هذا الكتاب والتى حوت مجموعة من المؤلفات والدراسات فى لغات عدة .. كرسى جميعها لدراسة الإسلام والمسلمين فى الاتحاد السوفيتى .